ابراهيم منصور

في اليوم أربع وعشرون ساعة

« واتى النهار وانقضى الليل فغلب الظن ان القضية لها ذيل »
— الجبرتي

في الصباح لم اذهب الى العمل لانه لم يكن يوجد هناك عمل. ومكثت في المنزل، وحين سألتني امي وانا افطر اذا كنت اتوقع ان اجد عملا قريبا — قلت لها اني لا اعرف. فسكتت ولكني سمعتها في الغرفة المجاورة تكلم نفسها او ربما كانت تخاطب الله. ولكني بعد قليل وانا اقرأ الجريدة وادخن سيجارة سمعتها تزعق في الخادم العجوز بصوت مرتفع، فلبست ثيابي وخرجت. ولم يكن الاتوبيس مزدحما ولكني لم اجد مقعدا بجانب الشباك، وجلست فوق جلباب رجل له وجه صنع من الكاوتش، لانه لم يزح جلبابه حين رآني اهم بالجلوس او ربما لم يكن قد رآني. ولم يكن مع الكمساري فكة الجنيه الذي كان معي، فنزلت وكان جلباب الرجل قد تجعد، وعدت ثانية الى المحطة واشتريت علبة سجاير. ثم جاء اتوبيس آخر ولم يكن مزدحما ووجدت مقعدا بجوار النافذة ولم يكن بجانبي احد. ورأيت رجلا يسير في الشارع؛ ظننته ابي، ولكني تذكرت انه قد مات هو وعمتي وزوج عمتي [1]. واعطيت الكمساري ورقة بعشرة قروش واعطاني الباقي فقلت لنفسي: « بعضهم معه فكة وبعضهم ليس معه فكة. وهكذا الحياة ». وقال رجل: « سمعت اغنية ام كلثوم الجديدة ؟ » فكدت اقول له «لا»، ولكني اكتشفت انه لم يكن يحدثني وانما كان يكلم رجلا بجواري. ولكنني قررت انه لا داعي للبكاء لانه لا فائدة منه: فقد رأيت بعيني الرجل الكهل السمين — وكان يضع يديه في جيب بنطلونه المكوي ويلوي عنقه كثيرا كأن رأسه يضايقه رغم انه كان صغيرا — يبكي وهو يودع الفتاة التي لم تقرر ان تتزوجه ورغم ذلك فقد ذهبت وتزوجت اول من قابلها في الطريق. ونزلت من الاتوبيس ولكن في المحطة التي كنت اريد النزول فيها وكانت الساعة الواحدة ظهرا حسب ساعة الميدان.

دخلت السينما لارى قصة الولد الذي مات ابوه، ولم ارَ جنازة ابي هذا الولد ايضا. ولعل ذلك هو ما ضايق الولدين اللذين كانا يجلسان في احد اركان السينما ويضحكان بصوت عالٍ، ولولا انشغالي بمتابعة الفيلم لكي ارى ماذا سيحدث للولد الذي لم يرَ جنازة ابيه

(١) ولم ار جنازته لاني لم اكن بالمنزل، ولكني رأيت جنازة عمتي وكذلك جنازة زوج عمتي الذي مات وهو يتفرج على رواية بوليسية في التلفزيون وظل ميتا امامه حتى اكتشفت ابنته انه مات فعلا. واذكر انها قالت لي وهي تبكي انها نسيت ان تطفىء التلفزيون فظل دائرا حتى الصباح.

لقلت لها انه لا داعي للضحك لانني ايضا لم ارَ جنازة ابي ولكن احدا لم يضحك كثيرا على ذلك . وكان الولد لم يرَ جنازة ابيه لانه لم يكن موجودا حين مات ولكنه اتى حين علم ، راكبا حصانه ، ورأيته في الفيلم على الشاشة يجري به بسرعة ويمر ببحار ذات امواج مرتفعة وحوافر حصانه تنثر رذاذ الماء على الشاطىء المبتل الخالي. ولم ارَ ماذا حدث حين وصل الى البيت لان امرأة خلفي قالت : « شيل ايدك » ، فردّ عليها رجل لا بد انه كان يجلس بجانبها : « ده انا مديلك جنبه ». فنظرت خلفي فلم ارَ يده وكنت اريد ان اعرف اين وضعهـا . وقالت لي المرأة : « خليه يا استاذ يشيل ايده » ، ولم يقل لي الرجل انه اعطاها جنبها وانما قال لي ان اشاهد الفيلم. فاعتذرت للمرأة وادرت رأسي كي اشاهد الفيلم. فرأيت الولد الذي مات ابوه في غرفة نوم امه وكانت ترتدي فستانا جميلا لانها كانت قد تزوجت رجلا آخر غير ابيه الذي مات. ولم اوافق المرأة على ذلك ولا بد ان كل من شاهد هذا الفيلم في هذه السينما او في اي سينما اخرى في اي مكان في العالم ودّ لو ان المرأة لم تتزوج بعد وفاة ابي الولد. ولكن هكذا الحياة. وقرب نهاية الفيلم كان الثلاثة، الولد الذي مات ابوه ، وامه ، وزوجها ، قد ماتوا . ولم نرَ الا جنازة الولد . وانتهى الفيلم وأحد مشيعي جنازة الولد يقول انه كان يمكن ان يكون رجلا عظيما . وكانت المرأة التي تجلس خلفي تسوي شعرها حين نظرت خلفي بعد انتهاء الفيلم لارى ماذا حدث ايضا لها وللرجل.

كنت امشي انا والولد السوري الذي اصبح صديقي في الشارع نتفرج على النساء . وكانت هناك نساء كثيرات بعضهن جميلات جدا . وقال الولد السوري لفتاة جميلة مرت بجانبه وكانت ترتدي فستانا ازرق : «ملتي بيللا سينيوريتا ». فوقفت انا واخذت اضحك لان الفتاة ربما لم تكن ايطالية . فغضب هو وقال انه لولا انني ضحكت لكانت الفتاة قد اصبحت عشيقته (٢) . فاعتذرت له بانني لم اكن اعرف ذلك، وقلت له انه لا داعي للقلق فهناك نساء كثيرات ومـا دام هو لن ينسى هذه الجملة التي قالها فسيصادف نجاحا كبيرا . فدعاني لكي اشرب قهوة في لاباس على حسابه فوافقت رغم انني لا احب هذا المكان . وذهبت لاتبول في المرحاض النظيف. ولم اعطِ الولد الصغير الذي يجلس دائما في المرحاض شيئاً رغم انه وقف حين دخلت وظل واقفا حتى فرغت من التبول . وذهبت الى التلفون وكلمت امي وقلت لها انني لا زلت على ما يرام ، فسألتني اذا كنت قد وجدت عملا فقلت لها لا ولكنني احاول ، وقلت لها ان تبلغ سلامي الى الخادم العجوز فقالت انه يضايقها طول النهار . وعدت الى الولد السوري كي اشرب القهوة فقال لي انه كان على وشك ان

(٢) هذا غير صحيح ، لانني كنت اجلس مع ولد كويتي في الهيلتون ذات مساء وحين جاءت الفتاة بالقهوة لي والعشاء له قال لها شيئا لا اذكره فضحكت انا ولكن الفتاة مع ذلك اصبحت عشيقته .

يجعل احدى الفتيات تصبح عشيقته . فقلت له انني لم اضحك لانني كنت اكلم امي بالتلفون، فقال ان هذا ليس السبب وانما السبب ان الفتاة كانت على عجل وغادرت المكان. فقلت له ان يثق انه في يوم من الايام سيجد فتاة ليست على عجل وعندئذ سيصادف نجاحا كبيرا . وبعد ذلك اخذنا نتكلم في السياسة ونحن نتفرج على سيقان كل فتاة تلبس فستانا قصيرا . وقلت له انني اعتقد ان كل شيء سيكون على ما يرام بمرور الوقت، فقال لي وما الفائدة اذا كنا سنموت قطعا وبلا ادنى شك ، فقلت له ان حسين اكد لي ان هذا ليس مهما وانما المهم ان العالم سائر في طريق التقدم . فاقترح عليّ ان نذهب الى سميراميس فوافقت. وحكيت له ونحن في الطريق حكاية عبد الوهاب افندي الجندي صاحب دكان السجائر الذي كنت اشكّ به وكيف انهم دفنوه واقفا لانه حين مات وجدوا ان قبره اقصر بكثير من جثمانه . فغضب الولد السوري ولم يضحك وطلب مني ان لا اعود لذكر هذه الاشياء لان ذلك يذكره بوالده . فسألته اذا كانوا قد دفنوه واقفا هو ايضا ، فقال لا ولكنه يتذكره كلما رأى جنازة او سمع شيئا كهذا . فقررت ان اكون حريصا على الا احكي له عن الفيلم الذي يروي قصة الولد الذي مات ابوه .

ووجدنا في سميراميس ناسا كثيرين ولكننا جلسنا وحدنا . واخذ الولد السوري يقرأ في كتاب كان معه واخذت انا انظر الى الناس . وكان هناك في ركن البهو حلقة كبيرة من الناس بينهم ثلاثة قسس بثياب سوداء ونساء كثيرات لم تعد ايتهن تصلح للفراش . وكان كل من في الحلقة يمسك بيده برتقالة صفراء كبيرة ويضع على صدره شعارا ملونا ، فنبهت صديقي الولد السوري الى ذلك ولكنه هو ايضا لم يعرف سبب هذا ، فقررت ان احاول الا افكر كثيرا في هذا. وقلت له ان هناك فتاتين تجلسان وحدهما ولا يبدو انهما على عجل واني سأحاول الا اضحك ولكن ليس معي نقود، فأكد لي ان هذا لا يهمهما اذا ارضيناهما وانه يقول ذلك عن تجربة . وعاد يقرأ ثانيا في الكتاب ، ثم سألني بعد قليل عما فعلت فقلت له انني لم افعل شيئا لان الفتاتين لم تنظرا اليّ . فقام ووضع يده في جيب بنطلونه وسار وهو ينظر امامه ، ثم لما اصبح امامهما نظر اليهما فجأة ثم واصل سيره حتى نهاية البهو وعاد وقال لي انهما دميمتان ، فقلت له اني كدت ان اقول له ذلك. وسألته اذا كان يوافق على الذهاب لمكسيم لنسكر هناك فلم يرد عليّ ، ولكني حين قمت قام معي . وذهبنا الى دورة المياه وملأ كل منا حوضا بالماء الساخن وغطسنا رأسنا فيه ثم مشطنا شعرنا ومسحت انا ياقة قميصي المتسخة وهنأت صديقي الولد السوري على اناقته .

جلسنا على البار وطلبنا بيرة وكنت طيلة الوقت انظر الى الساعة التي فوق البار لكي

اعرف بالضبط الوقت الذي ساسكر فيه لادوّن ذلك في مفكرتي . وقال لي البارمان انه لم يرني منذ مدة طويلة وسألني عما اذا كنت مسافرا ، فقلت له انني كنت في جنوبي الجزيرة العربية احاول ان اجد طريق التجارة القديم هناك. واكتفيت بذلك لانه لم يسألني اذا كنت قد وجدته ام لا ، ولكنه سألني عما اذا كان الناس هناك يأكلون لحوم البشر . فغضب صديقي الولد السوري وقام وخرج من المكان ثم عاد وقال ان لا احد بالشارع على الاطلاق . ولم اكن قد سكرت بعد رغم ان الساعة كانت الرابعة صباحا. وقلت لصديقي الولد السوري انني اعترف له انني ذات ليلة منذ اثني عشر عاما خنقت فتاة صغيرة عمرها احد عشر عاما كانت تبيع اليانصيب في احدى الخرائب لانها رفضت ان تنام معي، فقال انه لا يصدقني فقلت له ان البارمان يعرف ذلك فسأل البارمان فقال له انه لا يتذكر وانني ربما كنت قد سكرت ، فنظرت الى الساعة فوجدتها الخامسة فدوّنت ذلك في مفكرتي. ودخلت البار مجموعة من السائحات ومعهن رجل يرتدي بدلة غامقة ولكنه لم يكن انيقا . ونظرت احداهن اليّ وكانت تلبس نظارة فابتسمت لها وقلت لها اني اريد ان احدثها، فقامت وجلست معي على البار وقالت لي انها سائحة فقلت لها اني لا احب السياح ولكنني احبها هي . فطلبت مني الا ابالغ فسألتها ان كانت قد رأت الاهرام الثلاثة وابا الهول فاجابت بالايجاب، فقلت لها ان اسنانها جميلة جدا فقالت ان هذا غريب لانها سمعت الشيء نفسه من احد اصدقائها رغم انه كان طبيب اسنان . فسألتها ان تتزوجني فقالت ان هذا مفاجأة لها وانها ستسافر اليوم الساعة الثامنة صباحا ، فطلبت منها ان تفكر في الامر واعطيتها صورتي وكتبت عليها اهداء بالانكليزية، فوضعتها في حقيبتها ثم قامت لان الرجل ذا البدلة الغامقة قال لها انهم يجب ان يعودوا الآن الى الفندق . وقال لي صديقي الولد السوري انني حمار لانني تركت الفتاة تخرج دون ان اخرج معها، فقلت له انني ربما تزوجتها فقال انه لا يصدقني فقلت له ان يسأل البارمان لانه كان يسترق السمع فانكر البارمان انه كان يسترق السمع وقال انني ربما كنت قد سكرت ، فنظرت الى الساعة فوجدتها السادسة فدوّنت ذلك في مفكرتي ايضا . وخرجنا انا وصديقي الولد السوري من البار وسألني ونحن في الطريق عما اذا كان يستطيع ان يعتمد على صداقتي فقلت له انه يستطيع ولكني لا املك نقودا ، فقال انه يريد ان اذهب معه الى منزله حيث يحتفظ هناك بمسدس مرخص وان اطلق عليه النار ، فضحكت فغضب وقال انه لن يكلمني بعد اليوم . وتركني واسرع مبتعدا ثم وقف بعد قليل واكد لي بصوت عالٍ انه سيكتب خطابا الى السلطات يبلغها فيه انني هددته بالقتل [٣] .

(٣) ولكنه لم يفعل .